



سنو يتحدث لـ «اليوم»

جريدة اليوم: 2014/7/4 <http://www.alyaum.com/News/art/149254.html>

سنو يؤكد لـ «اليوم»: إن الحديث عن زحف «داعش» للبنان أحد اختراعات النظام السوري

مفكر لبناني: الطائف يحتاج تعديلاً.. اجتزنا الطائفية ودخلنا المذهبية

صفاء قره محمد - بيروت

بعد مرور ما يقارب ربع قرن على اتفاق الطائف الذي أوقف الحرب الأهلية في لبنان، أكد الكاتب الدكتور عبد الرؤوف سنو في حوار خاص لـ "اليوم" ان "الطوائف لم تشعر لغاية اليوم بأنها تعيش في وطن لأن المشاعر الوطنية او المواطنة غير موجودة في لبنان"، موضحاً ان "الطائف يحتاج الى تعديل ولكن من أجل بناء لبنان الافضل وليس لاستقواء طائفة على طائفة اخرى". وعن نهوض الدول ما بعد الثورات، قال: "اذا نظرنا إلى أوروبا وكيف انتقلت من مرحلة العصور الوسطى الى مرحلة العصور الحديثة والاصلاحات والصراعات بين الدول، فلا بد لنا أن نتأكد أنه من الضروري لهذه الثورات أن تنتج إعادة اعمار وبعد كل الدمار الذي وقع". وشدد على ان "كثرة الحديث عن ان "داعش" ستزحف الى لبنان، ما هي إلا احد اختراعات النظام السوري"، خاتماً: "ما يحدث في العراق لا يعني ان "داعش" هي التي تسيطر على العراق، والذي يقوم بانتفاضة في العراق هي المكونات الطائفية من سنة واکراد". وهنا نص الحوار :

التعايش بين الطوائف

كيف تصف التعايش بين الطوائف، خصوصاً بعد اصدارك كتاب "لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف"؟

- للأسف يسوء هذا التعايش في وقتنا الحاضر، لذلك أصدرت كتاب "حرب لبنان 2008"، لأنني توقعت أن يكون اللبنانيون قد تعلموا دروساً أو عبراً من الحرب الأهلية، إلا أنه تبين أننا اجتزنا مسألة الطائفية ودخلنا بالمذهبية. اليوم هنالك انقسام حاد في لبنان ليس على صعيد الطوائف فحسب، بل على صعيد المذاهب أيضاً، فمن المتعارف عليه ان المسيحيين كانوا يشكلون جبهة واحدة تحت مظلة بركي، الا ان هذا الأمر أصبح من التاريخ والعلاقات دقيقة جداً، خصوصاً مع تطلع الطوائف الى الخارج بانتظار القرارات فيما يخص الأمور الأساسية، وهذا ما يؤكد تشكيل حكومة الرئيس تمام سلام، كيف أن ضوءاً أخضر أتى من الخارج لتأليف الحكومة.

أما بالانتقال الى تفشي الطائفية، فإني من الناحية النظرية أمل خيراً من الكلام الذي قاله رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري حول ان هنا أكثر من 300 حالة زواج مختلط، بإمكانها تحسين لبنان. لكن، في ظل الانقسام المجتمعي الذي تعيشه البلاد على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية بسبب الاوضاع في سورية وما تعيشه المنطقة من أزمات وحروب، فنحن نمر بمرحلة الاستقواء الاجتماعي، لأن أي مشكلة بين أفراد من طوائف مختلفة نجد أن استخدام السلاح يستتبعه استقواء اجتماعي وهذا أمر خطير على المجتمع. لم تشعر الطوائف لغاية اليوم بأنها تعيش في وطن، لأن المشاعر الوطنية او المواطنة غير موجودة في لبنان.

هل تعدد الطوائف في لبنان نقمة أم نعمة؟

- نحاول دائماً القول انها نعمة، فهذه التعددية الطائفية ميزة لبنان، خصوصاً على الصعيدين الثقافي والحضاري، من حيث اننا نعيش حضارات وثقافات متفاعلة، الا ان الواقع مختلف جداً وما نعيشه هو نقمة، وهذا ما سألت عنه في كتابي "لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف"، عما اذا كانت تركيبة لبنان هي تركيبة خطأ بحيث ان الطائفة المارونية التي كانت هي صاحبة السيادة العديدة في جبل لبنان لم تعد صاحبة السيادة في لبنان، وهذا ما حصل مع الطائفة السنية التي كانت هي الطائفة الكبيرة خارج جبل لبنان الا انها لم تعد كذلك مع لبنان الكبير. تلعب الديموغرافية دوراً كبيراً بين كل طائفة تدعي انها الاقوى استناداً الى العدد، وهذا شيء خطأ. وقد وضعت مقدمة لكتاب د. لويس صليبا "لبنان الكبير، أم خطأ تاريخي؟" الذي سيصدر قريباً، وفيه يلقي الضوء على مواقف الطوائف من "لبنان الكبير" الذي رفضه المسلمون والأرثوذكس، فيما قبل به الموارنة لاعتقادهم أنه يمكنهم من حكم لبنان. مع الإشارة إلى أن بعض الموارنة تخوفوا من لبنان الكبير، خشية الذوبان في الديموغرافيا الإسلامية. وهذا ما قبت منذ الاستقلال، ولا يزال حتى اليوم.

إلى أي مدى يحتاج لبنان إلى اتفاق طائف جديد؟

- لا يوجد دول تضع دستوراً أبدياً، أو تؤسس جمعيات تأسيسية ينجم عنها دستور أو رؤية للمستقبل أو اطلالة على المستقبل من دون أن تغير أشياء منه في ما بعد. ولكن اليوم عندما نتحدث عن تعديل لاتفاق الطائف او الدخول في المثالثة او الفيدرالية، أعتقد أن الوقت غير مناسب لذلك. قد يكون الطائف يحتاج الى تعديل لناحية الصلاحيات المعطاة لرئيس الجمهورية اللبنانية، وهذا ما تبين نتيجة الشغور في سدة الرئاسة وانتقال الصلاحيات الى مجلس الوزراء، الذي يشهد صراعات نتيجة هذه الصلاحيات. يحتاج الطائف الى تعديل ولكن من أجل بناء لبنان الافضل وليس لاستقواء طائفة على طائفة اخرى. ولكني أرى أن الوقت الراهن ليس مناسباً للحديث عن تعديل الطائف، في ضوء التشنجات والخلافات بين الطوائف. التعديل يحتاج إلى

لحظة هدوء وتوافق، وليس في ظل توتر ومواقف رافضة لـ "الأخر" والرغبة في الاستقواء عليه.

لبنان جزء لا يتجزأ من العالم العربي، الى أي مدى كانت هذه العروبة حامية لوجوده واستمراره، في ظل أطماع إيران بالمنطقة؟

- عندما تشكلت جامعة الدول العربية لعب لبنان دوراً في ذلك على أساس التعاون بين الدول العربية لا على أساس ان تؤدي الى وحدة عربية. وفي ذاك الوقت، كانت مصر تؤدي دوراً كبيراً الى جانب المملكة العربية السعودية في اعطاء الدعم للبنان وحمايته من التطلعات السورية لابتلاعه التي جعلت الرئيس الراحل بشارة الخوري يطلب الدعم من السعودية ومصر لحماية بلده من هذه الاطماع السورية.

لقد شكلت هذه العروبة عبئاً على لبنان في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، عندما قامت مشاريع الوحدة، ما جعل المسيحيين يشعرون بالخوف من الوحدة العربية بمفهومها الاسلامي الذي لا ي بين العروبة والاسلام. المسيحيون رأوا ان ما يجمع بينهم وبين المسلمين هو العروبة، الا أن المسلم لم يستطع أن يفصل بين العروبة والاسلام، ونرى هذا الابتعاد بين مواقف الفريقين بعد الحرب العالمية الاولى وتأسيس دولة لبنان الكبير، حيث تمسك المسيحي بالقومية اللبنانية بينما استمر المسلم بالحديث عن العروبة والاسلام وهذا الخلط بينهما أدى في فترة "الناصرية" الى تأثر لبنان بأفكار الوحدة العربية التي طرحها الرئيس المصري، ما اشعر المسيحيين بأنهم معرضون لخطر الذوبان في المحيط العربي الاسلامي، الى حين تقوم المقاومة الفلسطينية في الستينيات والسبعينيات لتؤكد هذا الانقسام في ضوء العروبة والصراع العربي الاسرائيلي، حيث دعم المسلم العمل العسكري الفلسطيني انطلاقاً من عروبتة، فيما خاف المسيحي على "لبنانيته" وعلى انجازاته الحضارية والمادية من هذه "العروبة" وبشكل خاص الذوبان في قيم المسلمين وثقافتهم.

ولكن ماذا عن أطماع إيران في لبنان؟

- لدى الجمهورية الاسلامية في ايران منذ قيامها سياسة شرق اوسطية من خلال نشر الايديولوجيا ضد الامبريالية والصهيونية ونشر الاسلام الشيعي (ولاية الفقيه)، لذا نجد أن ايران تتدخل في لبنان وفي العالم العربي وسوف تستمر في ذلك. واذا نظرنا الى خريطة العالم العربي، يتبين أن ايران تتدخل في العديد من هذه الدول، فهي تطرح مشروع دعائي لإزالة اسرائيل على الاقل في الخطاب السياسي لكي تكسب الجماهير العربية المحبطة من فشل أنظمتها بالنسبة إلى استعادة الحقوق العربية في فلسطين. وتتدخل أيضاً في لبنان من خلال "حزب الله"، كما تتدخل في البحرين ومع الحوثيين لتقويض سلطة الحكم المركزية في اليمن، كما تغذي الانقسامات الحاصلة في العراق. فإيران تدعم حكومة المالكي النظام الشمولي الاستبدادي الذي يهمل الطوائف الأخرى سواء على أساس عرقي او مذهبي سني شيعي، أي كما فعل صدام حسين حين كان يهمل الشيعية خلال حكمه. ولدى ايران اياد في المنطقة كلها وهذا ينعكس سلباً على العلاقات العامة بين ايران والدول العربية، ونحن نعلم انه في عهد علي أكبر هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي في التسعينيات كانت العلاقات بين السعودية وايران جيدة، ولكن منذ ان بدأ مشروع الشرق الاوسط الايراني او القوس الشيعي أي النفوذ الايراني من ايران الى العراق وصولاً الى البحر المتوسط شعرت دول الخليج بخطر هذه السياسة وتأكيداً على ذلك ما يحصل في لبنان من انقسام بين طوائفه واحزابه، والذي يؤكد دور ايران الكبير في احداثه.

بعد ما شهده العالم العربي من ثورات وأزمات وحروب، هل ستستعيد الدول التي شهدت ربيعاً عربياً ريادتها، أم انها تحتاج الى مزيد من الوقت؟

- اذا نظرنا إلى أوروبا وكيف انتقلت من مرحلة العصور الوسطى الى مرحلة العصور الحديثة وما جرى من الاصلاحات والصراعات بين الدول، فلا بد لنا أن نتأكد أنه من الضروري لهذه الثورات أن تنتج إعادة اعمار وبعد كل الدمار الذي وقع، ولهذا أتوقع أن تأخذ الأمور مزيداً من الوقت لعودة الاستقرار السياسي ولإعادة الإعمار. الا ان ما أتخوف منه هو عودة العسكر الى الحكم في ليبيا ومصر، والسؤال هنا هل هذا ما طمحنا اليه من الربيع العربي؟، أم كان يتوجب وضع ركائز لدولة ديموقراطية او مجتمع مدني.؟ الصورة اليوم غير واضحة وسط الحديث عن تقسيم للمنطقة وما يحدث في سورية التي تحتاج الى ما يقارب 20 سنة لاعادة إعمارها اذا توقفت الحرب غداً، اضافة الى وجود 6 ملايين مهاجر سوري بين لبنان والاردن وتركيا والعراق، لذا أتأمل ان يوصلنا الربيع العربي الى نتيجة، ولكن لن يكون هناك ربيع عربي بالشكل الذي تمنيناه منذ البداية. اليوم هناك تنظيمات مسلحة في سورية والعراق وليبيا واليمن تقاتل لحسابها الخاص، وليس لإقامة دولة مدنية ديمقراطية تنوق إليها شعوبنا.

ما الداعم الأساسي للحفاظ على الكيان العربي والهوية العربية؟

- ما الذي يجمعني في لبنان مع مواطن في الجزائر، مع الأسف لا يعلم المواطن العربي بقضايا المجتمع العربي الآخر، وما حصل من ثورات عربية هي نتاج لرفض الشعوب الأوضاع السائدة السياسية والمعيشية والاجتماعية، وهذا ما ساعد هذه الشعوب على النزول الى الشارع ليقولوا "لا" للسلطة الحاكمة، ولقد استطاعت تحقيق هدفها والاتيان بنظام جديد. ومنذ عقود تسيطر القطرية على الفكر العربي، وأصبحت شعارات القومية العربية والوحدة العربية من الماضي. وقد أدت ثورات بعض الدول العربية الغنية بالنفط دوراً في زرع الخوف بين شعوبها من الوحدة والعروبة خشية على مكتسباتها وإنجازاتها ورخائها، وهي ترفض تقاسم ثرواتها مع العرب الآخرين، والذي هو مطلب ضروري في حال قيام الوحدة.

واليوم، قبل الحديث عن الوحدة العربية أو العروبة، علينا ترتيب أوضاعنا الداخلية. فبعد وصول الرئيس السيسي الى الرئاسة في مصر، لا يعني ان الامور ستبقى هادئة، اذا شعر المواطنون بأن النظام الجديد لا يلبي طموحاتهم، عندها ستتظاهر من جديد. وفي الحديث عن مصر لا بد من الاشارة الى ان مصر تتخبط بديون ضخمة قبل الثورة وبعدها، فعلى الرغم من المساعدة التي قدمت لها من قبل السعودية والامارات والكويت والتي تبلغ 12 مليار دولار، الا انها لا تكفي بوجود 90 مليون مصري. وهذا يؤكد وجود مشكلات اجتماعية ومعيشية عدا السياسية، اذا لم نجد لها حلاً فهذا يعني اننا ندفع الجماهير للنزول مرة أخرى واسقاط النظام، وليس التطلع نحو الوحدة.

قبل العروبة والهوية العربية، يجب أن نتجه أنظار الأنظمة العربية نحو التنمية الاجتماعية المستدامة. ولا بد من الاشارة الى ما ركز خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عليه في المملكة (هذا ما كتبت عنه في كتابي الذي سينشر قريباً) وهو الحوافز الاجتماعية من إسكان وتعليم وصحة، فالיום يوجد 155 ألف سعودي يدرسون خارج السعودية ومنهم 70 ألف طالب يدرسون دراسات عليا، اضافة الى المدن التي أنشأها الملك لإسكان الناس وتحسين الاوضاع الاجتماعية، وكذلك قطاع الاستشفاء الذي يتقدم بسرعة مذهلة. لذلك إذا لم تتمكن الأنظمة العربية الجديدة او القديمة من تصحيح او تحسين تقديمتها لشعوبها من المؤكد سيكون هنالك مشكلات.

مم تتخوف إزاء ما يحصل في العراق وسورية بعدما كثرت المنظمات والخلايا الإرهابية؟

- اعتقد ان كثرة الحديث عن ان "داعش" ستزحف الى لبنان، ما هي إلا احد اختراعات النظام السوري. صحيح أن هنالك إرهابيين ومتطرفين يتسللون إلى لبنان، لكن هذا لا يعني أن النظام السوري هو من اخترع واستخدم "داعش" لمصلحته لضرب الجيش السوري الحر، وأيضاً لإعطاء انطباع للغرب والعالم انه يحارب الارهاب. ولكن اليوم ما يحدث في العراق لا يعني ان "داعش" هي التي تسيطر على العراق، ومن يقوم بانتفاضة في العراق هي المكونات الطائفية من سنة واكراد، خصوصاً وان الاكراد يرفضون حكومة المالكي والسنة يشعرون بأنهم مهمشين من قبل هذه الحكومة عندما استخدمت القوة ضد مناطقهم. هذه هي الأسباب التي تقوي "داعش". صحيح أن "داعش" تتضخم، لكن ما يحصل في العراق وسورية هو انتفاضة ضد الاستبداد وضد النظامين الشموليين للمالكي وللأسد المدعومين من ايران. وكلما استمر الظلم والقهر، ليس في العراق وحده، وإنما في أي مكان من العالم العربي، فسوف نحصد التطرف والإرهاب وعدم الاستقرار.